كلمة فضيلة الشيخ الدكتتور سالم أحمد سلامة
رئيس رابطة علماء فلسطين

لمؤتمر الوفاق الإسلامي المسيحي
المنعقد في غزة في ٢٠١٢/٨/٢٧م

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى إخوانه رسل الله وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربهم ، واتبع نهجهم إلى أن نلقاه ، وبعد ،،،

فإن الإسلام دين السلام ، ودين الألفة والمحبة ، إذ إنه اللبنة الأخيرة في بنيان الله سبحانه وتعالى لهذا الدين كما قال حبيبنا المصطفى ﷺ فيما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ** :" **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ** ."وجعل من أركان الإيمان به ألا يهدم ما قد بناه الأنبياء قبل الإسلام ، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله .

لقد جاء الإسلام للناس عامة كما قال رب العزة والجلال: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**الأنبياء١٠٧ ومن فضل الله سبحانه وتعالى أن الدعوة انتشرت في جميع أرجاء العالم بأسلوب الإقناع ، وعن طريق الاقتناع الحر الذاتي ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وبجهود الوعاظ أو الخطباء والتجار ، ودعاة الإسلام ،الذين التزموا في مواقفهم ومعاملاتهم جانب القدوة الحسنة ، وضربوا المثل العالي في التحلي بغرر الخصال ، ورفيع الأخلاق ، وسلامة منطق الاعتراف بوحدانية الله تعالى ، ومعجزات القرآن ، ونبي الإسلام وكونه خاتم النبيين .

ولم يعرف التاريخ على الصعيدين الجماعي والفردي ، أي حادثة إكراه أو إجبار على اعتناق الإسلام ، وإنما كان غير المسلم حراً حرية تامة في البقاء على دينه ، دون إعنات ولا مضايقة ولا قسر على تغيير عقيدته .

وإن المجتمع الإسلامي لم يخل قط من غير المسلمين في أي عصر من العصور ، ولا عجب في هذا ، فإن الإسلام لا يكره الناس حتى يكونوا مسلمين .. ولا يمنع المسلمين من العيش مع مخالفيهم في العقيدة والدين ، فهم جميعاً عباد الله ، وليس من لوازم الإيمان بهذا الدين القطيعة مع غير المسلمين ورفض العيش المشترك معهم في ظل دولة الإسلام .

وانقسم الناس تجاه هذا الدين الخاتم إلى قسمين : قسم آمن بما جاء به رسولنا محمد ﷺ متمماً لما جاء به أخوانه الرسل الكرام صلوات ربي وتسليماته عليه ، ومهيمناً عليه . وقسم لم يؤمنوا . وهؤلاء انقسموا إلى ثلاثة أقسام : قسم حاربهم ، وناصبهم العداء ، وهؤلاء هم المحاربون .

وقسم عاهدهم وسالمهم ، وهم صنفان : صنف عاهد المسلمين على ترك القتال فترة زمنية مؤقتة أو مطلقة ، من غير أن يخضعوا لحكم الإسلام ، ودون أن تصير بلادهم جزءاً من دار الإسلام ، وهؤلاء هم الموادعون، أو أهل الهدنة ، وصنف دخل دار الإسلام بأمان أهلها من أفراد أهل الحرب ، يقيمون فيها فترة زمنية مؤقتة ، وهؤلاء هم المستأمنون .

وقسم دخل في ذمة المسلمين وعهدهم، فعاقدهم على أن يكونوا تحت حكم الإسلام وسلطان المسلمين، وتصير بلادهم جزءاً من دار الإسلام، وهم كالمسلمين في الأحكام العامة، ويلتزمون بجملة من الالتزامات التي تحقق معنى التبعية لدار الإسلام وهؤلاء هم أهل الذمة .

ولقد شنع الله سبحانه وتعالى على بعض أهل الكتاب وهم اليهود لما اتصفوا بالعداوة للمؤمنين ، بينا ذكر النصارى بما يليق بهم من صفات فقال عز من قائل : ({لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }المائدة٨٢

وإذا تقرر ما سبق ، فإن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي إما أن يكونوا أهل ذمة ، وإما أن يكونوا مستأمنين ، وأساس العلاقة التي تنشأ بينهم وبين المسلمين التعاقد القائم على التراضي ، والالتزامات المتبادلة ، وعقد الذمة أساس لعلاقة المسلمين مع أهل الذمة ، وعقد الأمان أساس لعلاقاتهم مع المستأمنين .

وقد بنت الشريعة الإسلامية العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي، بأسلوب قانوني محكم، يستند إلى شرعية مستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، كما عني الفقهاء بتفصيل أحكام هذه العلاقة في أبواب وفصول مستقلة.

حرية العقيدة :

لقد ورد حفظ حق حرية العقيدة لكل إنسان مهما كان كما ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج ما جاء في عهد الرسول ﷺ لأهل نجران : " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ."

وجاء في الوثيقة التاريخية وهو عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل إيلياء (بيت المقدس) : " هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ..."

حق الأمن والحماية في السلم والحرب :

الأمن في الحياة اليومية والحماية في السلم والحرب . ويقصد بالحياة اليومية ممارسة جميع الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان في القول والعمل ، وحمايته من أي عدوان داخلي أو خارجي ، ومن مظاهر التفرقة أو التمييز المستندة إلى أساس عنصري أو اجتماعي أو اقتصادي . وينبع هذا من أمر الله تعالى بالعدل والقسط. قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }النساء١٣٥

ومن تمام الحقوق أن يكون المسؤول عنها وكبار القائمين بأمرها مؤمنين بها ديناً يسألهم الله عنه ، ويحكمون بين الناس به ، إنها عند المسلمين دين ونظام حياة ، وعند غيرهم نظام حياة ، وليست ديناً يدينون به ، فموقف المسلمين في تطبيقها والمسؤولية عنها ، يدعو إلى أن يقوموا بأمر المجتمع الإسلامي في إدارته العليا ، مستعينين في هذا بكفاءات من المسلمين وأهل الذمة ، متيحين لهذه الكفاءات – مع اختلاف الدين وتباين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية – أن تأخذ حقها في النمو الطبيعي والفكري ، وتتعاون جميعاً في خدمة الدولة التي يعيشون فيها ، وإن متابعة تطبيق هذه الحقوق حوار متصل بين القيادة والقاعدة ، وهذا هو الاتجاه الرأسي . وهناك اتجاه أفقي يمثله الحوار بين المختصين في مجال أو أكثر . ومن الاتجاهين – الرأسي والأفقي – يتكون نسيج الشورى في المجتمع . وإن ممارسة الحقوق ، وتطوير مضامينها وملاءمتها ، وابتكار الصيغ الأنسب لمسار الحياة ، هي في ذاتها تخصص وجهد متصل تتأصل به الثوابت في الحقوق مع تبدل صورها .

ولا شك في أن الإسلام بهذا التسامح يرسم خط المواطنة ، كما ينبغي أن تكون في دياره ، تلك المواطنة التي تتيح لأبناء المجتمع علاقات كامنة في الأعماق ، يرتبطون بها مع

ذواتهم ، ومع الخالق ، ومن خلالها يربطون الماضي بالمستقبل والنشأة بالمصير ، فينتج عن ذلك بعث للضمير يحركه ، ويدفع به نحو مجموعة من الأحاسيس الفاعلة ، والأفكار الإيجابية ، كما ينتج حث على العمل المثمر الجاد ، وشعور بالطمأنينة والسعادة ، أو على الأقل طموح نحوهما مفعم بالأمل والاستبشار .

ونعتقد أن هذه المواطنة تقتضي أسساً أربعة لا بد منها ، حتى تستمر ثابتة قوية وهي : المساواة والحرية والهوية والتنمية .

أولاً المساواة : وهو مبدأ حث عليه القرآن الكريم وأكده رسولنا ﷺ " الناس من أدم وآدم من تراب " .

وللمساواة مظهران أساسيان :

أولهما : أمام القضاء والقانون بدون مجاملة أو محاباة قال تعالى : " {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }النساء٥٨ . وقال تعالى : ({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }النساء١٣٥ .

وثانيهما : أمام التوظيف والعمل ، وغيرهما من الفرص والظروف التي تتيح مجال القيام بالواجبات والتكاليف والأعباء والالتزامات ، والتي ينبغي أن تكون ميسرة للجميع بلا أي تمييز أو تفريق ، لا تراعى فيها إلا الكفاءات والمؤهلات اللازمة . وقد اعتبر الرسول ﷺ خروج الأمة على هذا المبدأ إيذاناً بالنهاية . " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة."

ثانياً الحرية .

ثالثاً : الهوية .

رابعاً : التنمية : ومعناها الحق في إثبات الذات ، وتحقيق وجودها وتطورها وازدهارها عن طريق الإنماء المتكامل للفرد والمجتمع ، في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

إن مواطنة تقوم على هذه الأسس الأربعة كفيلة تضمان الوحدة في ديار الإسلام على مستوى الكيان بمختلف أبعاده المادية والروحية . بدءاً من الفرد إلى الدولة ، مروراً بالأسرة والمدرسة وغيرهما من المؤسسات وما يربطهما من علاقات وروابط .

إننا في حاجة إلى أن نفهم الواقع المرير ، وندرك المؤامرات التي تدبر للمسلمين ، مستغلة بعض الحقائق والظواهر ، وكذا التناقضات والمصالح المتضاربة ، والتي لا يخلوا منها أي شعب ، وهي مؤامرات تسعى إلى تجريد الفكر الإسلامي من مفاهيم الدولة والوحدة ، واقتلاع هذه المفاهيم وترسيخ الإنفصالية والعرقية والطائفية والعشيرية مكانها ، حتى يسهل فرض الهيمنة على ديار الإسلام ، عسكرياً واقتصادياً وثقافياً ، فتفقد هويتها وقدرتها على التنمية ، ومعها تفقد إحساسها بالذات والكيان ، وتتساق لقمة سائغة للصهيونية المتربصة ، وللقوى العالمية التي تسعى إلى السيطرة واقتسام النفوذ .

ويجدر بنا أن ننبه إلى أن الاستعمار ، يوم كان يلقي بظله على الدول العربية والإسلامية حاول أن يركز على الأقليات الدينية والجنسية واللغوية لعزلها ، وضرب الأغلبية بها ، إما بإثارتها للتحرك والانفصال ، أو بإيثارها في امتيازات عن طريق وظائف الإدارة والمؤسسات الاقتصادية ، ليخلق هوة عميقة بن الفئات المكونة للمجتمع في هذه الدول .

ويجدر بنا أن ننبه كذلك إلى أن القوى العالمية ، وهي تحاول اليوم فرض هيمنتها على تلك الدول ، اتجهت إلى إحياء النزعات القبلية والنعرات العنصرية والخلافات الدينية ، لتكريس فكرة التشتت والتمزق داخل الكيانات الوطنية ، كما اتجهت إلى التبشير بولاءات عقدية وانتماءات مذهبية ملغومة ، أقل سلبياتها أنها تبث التفرقة ، وتنشر الخصومة ، وتحمل الآخذين بها على تبعية فكرية رخيصة مثقلة بالتشويه والمغالطة ، تهدف إلى التشكيك وبث روح الاستلاب والاغتراب .

إلا أننا في فلسطين عامة وفي قطاع غزة على وجه خاص نبشر المؤتمرين والسامعين إلى أن هذه الروح اختفت إلى غير رجعة من بين أبناء شعبنا العظيم ، والذي اختلطت دماؤه في الدفاع عن ثرى فلسطين وقدسنا المقدسة المباركة ، وكان النسيج الوطني هو الصخرة التي تحطمت عليها كل مؤامرات بني صهيون في التسلل إلى الفتنة والتخريب ، والذي وقفت منه حكومتنا الشرعية والرشيدة موقفاً يشهد لها في محاربة الأفكار الهدامة ، والمزعزعة للوحدة الوطنية التي ظهرت بأبهى صورها في انتفاضتينا المباركتين . حيث احتضنت مساجدنا وكنائسنا طلابنا الجامعيين عندما أغلق العدو الصهيوني جامعتنا الإسلامية ، وكانت الجامعة الوحيدة آنذاك ، وأراد العدو تجهيل جيل كامل عبر منع التعليم . ولا أبيح سراً إن أعلن الآن أن بيوت المواطنين النصارى في فلسطين وفي غزة هاشم كانت ملاذاً لبعض قادة المقاومة ، وقلاع قيادة تجلت فيها الروح الوطنية بين أبناء الشعب الواحد بأبهى صورها . لذا كانت المقاومة من كل أبناء شعبنا الفلسطيني بكل

أطيافه وتوجهاته ودياناته قد انصهرت في بوتقة واحدة ، بوصلتها تشير إلى العدو المشترك ، وتحرير الأرض منه أولوية عند جميع أبناء شعبنا العظيم .

ولم يستطع العدو بكل ما أوتي من مكر أن يفت في عضد شعبنا ، بإثارة الفتن الدينية ، والنزاعات الطائفية لكون القيادة من الطائفتين عالمة بما يحيق لنا العدو من مؤامرات ، ففشل والحمد لله في كل ما كان يخطط ، وسيفشل بإذن الله في المستقبل .

ومزيداً من التلاحم ، والعمل المشترك لقهر العدو المحتل الذي لا يفرق بين مسلم ومسيحي في منعهم من الوصول إلى مقدساتهم في القدس وبيت لحم وبالخليل وغيرها من أرضنا المقدسة .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الدكتور: سالم أحمد عبد الهادي سلامة

رئيس رابطة علماء فلسطين